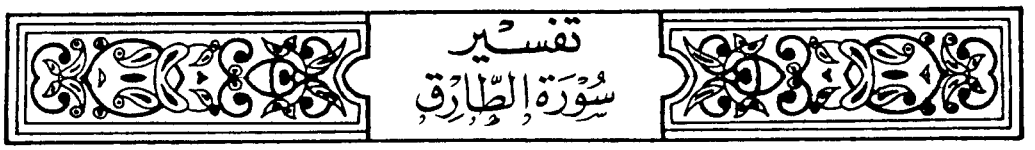

روى عبد الله بن الإمام أحمد عن أبي حبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف، وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعته يقول: «والسماء والطارق» حتى ختمها. قال: فوعيتها في الجاهلية، وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام، قال: فدعتني ثقيف، فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال: من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه. وروى النسائي عن جابر قال: صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء، فقال النبي ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ، ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق، والشمس وضحاها، ونحوها؟

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾

يقسم تبارك وتعالى بالسماء، وما جعل فيها من الكواكب النيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾ ثم فسره بقوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً، لأنه إنما يرى بالليل، ويختفي بالنهار، ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً، أي يأتيهم فجأة بالليل، وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء: «إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن». وقوله تعالى: ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾ المضيء، أو يثقب الشياطين إذا أرسل عليها ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: 11] وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد، لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27] وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ يعني الذي يخرج دفقاً من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل، ولهذا قال: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ يعني صلب الرجل، وترائب المرأة، وهو صدرها ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾ فيه قولان أحدهما على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك، والثاني أنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق، أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر. لأن من قدر على

البداءة قدر على الإعادة. ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر، أي تظهر وتبدو، ويبقى السر علانية، والمكنون مشهور، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يرفع لكل غادر لواء عند أسته، يقال: هذه غدرة فلان ابن فلان». ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ أي الإنسان يوم القيامة ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ أي في نفسه ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ أي من خارج منه، أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾

﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ هو المطر، أو هو السحاب فيه المطر، أو ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا، وهلكت مواشيهم، أو ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢﴾ هو انصداعها عن النبات ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ حق، أو حكم عدل ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ أي بل هو جد حق. ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥﴾ أي يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي أنظرهم ولا تستعجل لهم ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ أي قليلًا، أي وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك، كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان: 24].

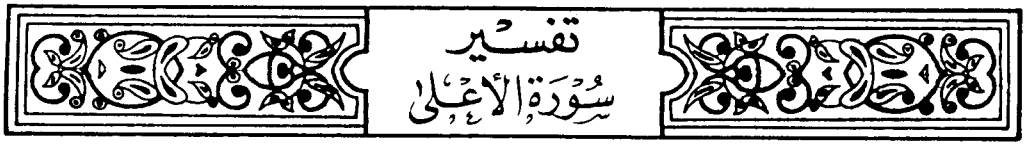

والدليل على ذلك ما رواه البخاري عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلا يقرءاننا القرآن، ثم جاء عمار بن ياسر، وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ في سور مثلها. وروى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ تفرد به أحمد. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى» وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك